

التحرير والتنوير

ثم إن العلم بالخلق الأول من شأنه أن يصرف الإنسان عن إنكار الخلق الثاني كما قال تعالى (أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) وقال (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) فكان مضمون الصلة تعريضا بجهل المخاطب .
الأغذية أجزاء وهي النطفة منها تتكون التي الأجزاء إلى إشارة (تراب من) وقوله A E المستخلصة من تراب الأرض كما قال تعالى في الآية الأخرى (سبحان الذي خلق الزواج كلها مما تنبت الأرض) .

والنطفة : ماء الرجل مشتقة من النطف وهو السيلان . و (سواك) عدل خلقتك أي جعله متناسبا في الشكل والعمل .

و (من) في قوله (من تراب ثم من نطفة) ابتدائية وقوله (لكنا هو ا ربّي) كتب في المصحف بألف بعد النون . واتفق القراء العشرة على إثبات الألف في النطق في حال الوقف وأما في حال الوصل فقرأه الجمهور بدون نطق بالألف وقرأه ابن عامر وأبو جعفر ورويس عن يعقوب بإثبات النطق بالألف في حال الوصل ورسم المصحف يسمح بكلتا الروايتين .
ولفظ (لكنا) مركب من " لكن " بسكون النون الذي هو حرف استدراك ومن ضمير المتكلم " أنا " . وأصله : لكن أنا فحذفت الهمزة تخفيفا كما قال الزجاج أي على غير قياس لا لعله تصريفية ولذلك لم يكن للهمزة حكم الثابت فلم تمنع من الإدغام الذي يمنع منه ما هو محذوف لعله بناء على أن المحذوف لعله بمنزلة الثابت ونقلت حركتها إلى نون (لكن) الساكنة دليلا على المحذوف فالتقى نونان متحركتان فلزم إدغامهما فصار (لكنا) . ولا يجوز أن تكون " لكن " المشددة النون المفتوحاتها أشبعت فتحتها لأن لكن المشددة من أخوات إن تقتضي أن يكون الاسم بعدها منصوبا وليس هنا ما هو ضمير نصب ولا يجوز اعتبار ضمير (أنا) ضمير نصب اسم (لكن) لأن ضمير المتكلم المنصوب يجب أن يكون بياء المتكلم ولا اعتباره ضمير المتكلم المشارك لمنافاته لإفراد ضمائره بعده في قوله (هو ا ربّي ولا أشرك بربي أحدا) .

(فأنا) مبتدأ وجملة (هو ا ربّي) ضمير شأن وخبره . وهي خبر (أنا) أي شأني هو ا ربّي . والخبر في قوله (هو ا ربّي) مستعمل في الإقرار أي أعترف بأنه ربّي خلافا لك . وموقع الاستدراك مضادة ما بعد (لكن) لما قبلها ولا سيما إذا كان الرجلان أخوين أو خليلين كما قيل فإنه قد يتوهم أن اعتقادهما سواء .

وأكد إثبات اعترافه بالخالق الواحد بمؤكدات أربعة وهي : الجملتان الاسميتان وضمير

الشان في قوله (لكننا هو ا) وتعريف المسند والمسند إليه في قول (ا ربي)
المفيد قصر صفة ربوبية ا على نفس المتكلم قصرا إضافيا بالنسبة لمخاطبه أي دونك إذ
تعبد آلهة غير ا وما القصر إلا تأكيد مضاعف ثم بالتوكيد اللفظي للجملة بقوله (ولا أشرك
بربي أحدا) .

وعطف جملة (ولولا إذ دخلت) على جملة (أكفرت) عطف إنكار على إنكار . و (لولا)
للتوبيخ كشأنها إذا دخلت على الفعل الماضي نحو (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) أي كان
الشان أن نقول (ما شاء ا لا قوة إلا با) عوض قولك (ما أظن أن تبعد هذه أبدا وما أظن
الساعة قائمة) . والمعنى : أكفرت با وكفرت نعمته .

و (ما) من قوله (ما شاء ا) أحسن ما قالوا فيها إنها موصولة وهي خبر عن مبتدأ
محذوف يدل عليه ملابسة حال دخول الجنة أي هذه الجنة ما شاء ا أي الأمر الذي شاء ا
إعطائه إياي .

وأحسن منه عندي : أن تكون (ما) نكرة موصوفة . والتقدير : هذه شيء شاء ا أي لي .
وجملة (لا قوة إلا با) تعليل لكون تلك الجنة من مشيئة ا أي لا قوة لي على إنشائها أو
لا قوة لمن أنشأها إلا با فإن القوى كلها موهبة من ا تعالى لا تؤثر إلا بإعانتة بسلامة
الأسباب والآلات المفكرة والمانعة . فما في جملة (لا قوة إلا با) من العموم جعلها كالعلة
والدليل لكون تلك الجنة جزئيا من جزئيات منشئات القوى البشرية الموهوبة للناس بفضل
ا .

(إن ترني أنا أقل منك مالا وولدا [39] فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل
عليها حسابا من السماء فتصبح صعيدا زلقا [40] أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له
طلبا [41])